فتوات ميرى !

ما أحسبك أيها القارىء إلا قد اتجه ذهنك إلى ما أريد لأول وهلة ، فاستحضرت صورة نفر من شرطتنا الأبطال والعياذ بالله تعالى ، وإلا فمن غير هؤلاء يصدق عليهم هذا النعت وهم مصدر وحيه إلى كما يوحى الشيء الرائع بالمعنى الرائع ؟ .

ولست أكتم عنك أيها القارىء أنى بهؤلاء الأبطال ضائق أبداً ، يغيظنى مجرد مرآهم ، وأكدر الأصباح عندى صباح يطالعنى فيه بطل من هؤلاء قبل أن تقع عيناى على سواه من عباد الله . وإنه والله بعدها ليوم أسود ، أظل أسأل الله فيه العافية

ولست أتبين فى نفسى على وجه اليقين ماذا دس فيها الحفيظة على هؤلاء حتى لأطيق كل صنف غيرهم من الأرذال ، ولا أكاد أطيق حتى مجرد ذكرهم ، ولو تمثلت لى العفاريت وتراقصت حولى بأشكالها وألوانها عن يمين وشمال لأنست إليها ولألفتها قبل أن أستطيع أن أصبر على مرأى واحد من هؤلاء «الفتوات الميرى»

وأرجع بالذاكرة القهقرى ربع قرن فأرانى على سور نادى « سيروس » أتدلى لأهبط فى حديقته وأنا صبى فى الرابعة عشرة وفى يدى كتبى جئت بها من المدرسة مضرباً لأستمع إلى سعد يخطب بعد أوبته من جبل طارق ، وقد حال العساكر عند الباب بينى وبين آلاف غيرى من الدخول ، فما أدرى إلا وعصا شديدة تهوى على وسطى فأقع على ظهرى صارخاً وتتناثر كتبى ولا ينقذنى من الرعب والهلاك إلا أحد الضباط ، وأنسى الألم لفرحتى بالدخول إلى حيث أسمع سعداً . . أيكون مرد بغضى هذه الطائفة إلى ذلك الحادث ؟ ولكن بينى وبينه ربع قرن .

ونثب ذاكرتى إلى الأمس القريب فأجدنى أتهيأ للنزول من الترام ذات يوم ، فإذا بعتل من هؤلاء يتحمس وهو على السلم فى تحية أحد ضباطه ولكن يده الهابطة عن جبينه تقع فى عنف على منظارى فإذا به يطير عن أنفى ؛ ولولا أنه استقر على ذراع أحد الواقفين على السلم لما وقفت له على أثر . على أننى وجدته قد تحطمت إحدى زجاجتيه ، ولا تسل عن مبلغ ما نال أنفى من ألم وما ركبه من ورم بضعة أيام . فهل كان هذا اللعين يثأر لنفسه ولطائفته مقدماً من هذا المنظار ؟ لست أدرى . . . وهل يرجع شىء من حفيظتى على هذه الطائفة إلى ذلك الحادث أيضاً؟ ولكنى ضائق بهم من قبل ذلك ضيقاً شديداً . .

ولقد زادنى غيظاً من هؤلاء وسخطاً عليهم مناظر تتابعت منذ أيام بعضها فى إثر بعض كأنما تآمرت بها الظروف على كيدى . .

هذا رجل ملقى على الأرض ذات مساء على الطوار أمام الغرفة التجارية يقيء من فوق ومن تحت ، وقد أقيم على هذا الطوار ثلاثة من الشرطة غلاظ شداد ليمنعوا السابلة أن تطأ أقدامهم القيء حذر الموت وانتشار الوباء ، وكان أحدهم فى وسط الطوار ، والثانى فى طرفه الشرقى والثالث فى طرفه الغربى ، وكان ما كلفوا به من أمر جد خطير ، ولكنهم اجتمعوا ثلاثتهم يتحدثون وظهورهم إلى المريض والسابلة يطأون القيء ويحملون منه ما يكفى لأبادة القاهرة كلها ؛ ولست أدرى أين ذهب وقتذاك الأطباء والمسعفون ؛ وانزعج أحد المارة لتحذير الناس إياه وهو شاب كان يتأبه ويتنبل بمشيته وملابسه ، ولكنه وطىء القيء ونظرت فإذا به جن جنونه وراح يشتم هؤلاء ما وسعه الشتم ، ثم دخل صيدلية قريبة فطهر حذاءه ، وعاد يستأنف الشتم ويتم المعركة .. أتظن بعد ذلك يا قارئى العزيز أنهم — أعنى هؤلاء العساكر الأماثل — عاد كل إلى موقفه فلبث فيه ؟ . كلا والله ، فما لبثوا أن تجمعوا ثانية يتحدثون ويضحكون والسابلة يطأون القيء وهم لا يعلمون مبلغ ما يخوضون من هول ، وكان يكتفى أحد الشرطة البواسل بأن يدير وجهه بين حين وحين فيقول لأحد المارة « ما قلنا يا سيدى ألف مرة بلاش مرور من هنا » ..

ورأيت مرة أخرى عدداً من هؤلاء وعلى رؤوسهم خوذات الحديد ، وقد جلسوا على مقاعد جلبوها من أحد المقاهى عند أول شارع قصر العينى فى مدخل ميدان الاسماعيلية وراحوا يمصون وعلى رؤوسهم الخوذات ، عيدان قصب السكر ! .. يا لطيف . . يا دافع البلاء يا رب ! هل يرى نزلاؤنا مسخرة فى مصر أروح من هذه المسخرة ؟ .

ورأيت مرة ثالثة ، فريقاً من هؤلاء — والعياذ بالله مما رأيت — كانوا يضربون بعض المتظاهرين بهراواتهم ، فهل رأيت « الفتوات » ذات مرة فى أحد أحيائنا البلدية يتهيأون لمعركة ثم يمعنون فى الحى كله تحطيما وضرباً لا يبالون ماذا يحطمون ولا من يصيبون ؟ على هذا النحو انطلق « الفتوات البرى » يضربون كل مار فيصيبون طبيباً أو مهندساً أو شيخاً أو أستاذاً ، وكان آلم ما شاهدت ضربة فظيعة تهوى على ظهر تلميذ فى نحو الثانية عشرة فايكاد يصرخ المسكين حتى تنحبس صرخته فى صدره فلا يستطيع إطلاقها من فرط ألمه ، وذقت معه الألم مرتين فقد ذكرت العصا التى « أكلتها » على سور نادى سيرفس .

وتشاء المصادفات الأليمة أن « أصطبح منذ يومين باثنين من هؤلاء الشجعان ينظران فى أقفال الدكاكين ، فى الصباح الباكر وقد ألفيت نفسى حيالهما فجأة عند منعطف فى أحد الشوارع ... ياحفيظ ! لقد كان يكفينى من الهم مجرد رؤيتهما ، فما بالك أيها القارىء وقد سمعت أحدهما يغنى ... أى والله يغنى وفى يده هراوته قائلا « أنا من ضيع فى الأوهام عمره » . ولست أدرى كيف يكون لهذا الحيوان عمر ؟ وكيف يضيع فى الأوهام عمره وما ضيعه إلا فى الجهل والإجرام ..

وبعد فلو أنى مضيت أسرد ما يغيظنى ويحفظنى على هؤلاء لضاق عنه أضعاف هذا المجال فيحسبى تفكهة للقارىء ودرءاً لما قد يكون ناله من سيرة هؤلاء البواسل من ضيق ، أن أقص عليهم تلك القصة .. أمر أحد شرطتنا فى حفلة من الحفلات منعاً للتزاحم أن يدخل الناس . اثنين اثنين ، ووقف الشرطى الهمام النبيه ، فجاء أحد الباشوات ومشى وحده فى غير زحمة ولكن الشرطى منعه من الدخول فهو لا يدخل حسب الأمر إلا اثنين اثنين وضحك الباشا وعاد فاستصحب سائق سيارته فما أسرع ما أفسح الجندى لهما الطريق ودخل الباشا يضحك ملء نفسه ويدق كفاً بكف ويقص النكتة على المحتفلين قائلا « دخلت بنفس هذا السائق »

وهنيئاً لحكومتنا « فتوتها البرى » فأنا على يقين أنها تتنازل عن متاحفنا جميعاً فى يسر ولا تتنازل عن هذا الطراز العجيب النادر من شرطتها الذين يحق أن تباهى بهم العالم وتبلغ فى مباهتها حد الأعجاز .

الخفيف

فصل الخطاب

للأستاذ محمود رمزى نظيم

قم لنعكف على كؤوس الشراب ... وتزود من الشعاع الذاب
واسقنى باسم «غلوش» من عصير ... قد براه الإله فى الإعناب
خمرة أطلقت من الدن فاقتر ... ت سروراً عن لؤلؤ من حباب
نورها الباهر المشعشع يسرى ... نشوة فى القلوب والأعصاب
تنتحى بالعقول حين تراها ... أقبلت فى مواكب الأكواب
كرمها الأخضر الظليل تراها ... نورة أعلنت على الألباب
مل إلى الحان واحتسها وجاور ... معشراً تائه الهدى والصواب
واجعل اللهو والشراب سفيناً ... فى بحار الهموم والأوصاب
لا تكن زاهداً ففى العصر زهد ... هو زهد المحتال والنصاب
ما احتفى الدين بالمظاهر لكن ... بقلوب صفت صفاء الشراب
ودعاء اللسان من غير قلب ... طاهر ليس بالدعاء المجاب
كم قلوب فى الحان أصفى وأنقى ... من قلوب طفت على المحراب
هات هذا الأكسير ينسى شقائى ... فى ابتعادى عن موطنى واغترابى
فجعتنى الأيام فى خلق النا ... س وفى المشتهى من الآداب
إيه دنياكم انهبوها فمالى ... متعة فى الحياة يا أترابى
أنا فى رحلة عن الملأ الأعـ ... ـلى وهذا التراب سوط عذابى
قد بلغت الستين عاماً وما زا ... لت كما كنت نيراً فى شبابى
صقلتنى الأيام صقلا عنيفاً ... فصفا جوهرى ورق حجابى
أنا بالله فى ثراء وجاه ... قد حمانى مذلة الأذناب
أهل جاه الدنيا ظلال أراها ... تتلاشى فمالها من إياب
رب ضخم الحياة منتفخ الأو ... هاج أمست دياره فى خراب
نقتى بالحياة ضيعها المو ... ت فولت ولم تعد فى حسابى
سبقت حكمة الشيئة فى النا ... س بأن يرجعوا لهذا التراب
وبعينى رأيت مدرجة المو ... ت توارى الأخيار من أحبابى
أنا فى إثرهم أجـــد ولى يو ... م احتضار يكون فيه ذهابى
خدعتنا حضارة الجيل بالليـ ... ـين وأودت بنا بظفر وناب
الحياة التى نكابدها اليو ... م حياة الطغيان والإرهاب
قبضت كفها فهانت على الفضـــ ... ـل وضاقت على ذوى الألباب
لا تقل فى الحياة ناس فما هو ... لك إلا فصائل من ذئاب